الآباء من لهو الصبا وعبث الشـــباب ، وإنما كان يجنح إلى محاسنة وملاينة ، فيناقشنا مناقشة الأنداد للأنداد ، ويشير علينا بما يحب ويرضى ، تاركا لنا أن نسلك السبيل الذى نختار ! ...

عاش بين التلال من كتبه ، فلم يأخذ أحدنا — نحن أبناءه — بأن يكون معه ، يقرأ له ، أو يملى عليه ، أو يستملى منه ، أو يطالع بجانبه ، بل يدع ذلك لأنفسنا خاصة ، شئناه أو أبيناه ، فلم يفرض على أيّنا أن يحذو حـــذوه فيما يستن من سنة وما يرتضى من سلوك ! ...

وإنى أجرى اليوم قلمى بهذه الأسطر ، وأنا على مكتبى ، تحيط بى أصونة الكتب ، مما اقتنيت أو ألفت ، وأذكر أنى مازلت أسير مثل هذه الجلسة منذ عشرات الأعوام ، كما كان يصنع أبى فى حياته السالفة ، على مكتبه ، بين كتبه ، وقد غاب عنى محيّاه منذ ربع قرن ... فتنساب بى التأملات ، وأرانى أعمد جبهتى بيدى أقول لنفسى :

ترى لو كان أبى ألزمنى مكتبته ، وقسرنى على أن أختط خطته ، أكنت أحفظ عهده ، وأحمل أمانته ، بعد أن طواه الردى ، ومضى به ركب الأيام ؟...

لقد آثر أبى لأبنائه حرية التصرف وحرية الانطلاق ...